مستقبل التعليم فى العالم العربي

الدكتور محمد ربيع (*)

يعد التعليم الوسيلة التى تبث من خلالها المجتمعات المعرفة للأجيال الجديدة ، وتحافظ من خلالها على القيم وتقوم بالتغيير • فالمؤسسات التعليمية تعمد الى تنظيم مجرى المعلومات العلمية داخل المجتمع وتحدد كمية المعرفة ونوعيتها التى يحتاجها المجتمع • فمؤسسات التعليم العالى تساعد على زيادة مخزون المعرفة للمجتمع وتتفاعل مع متغيرات المجتمع •

ويعد التعليم بالنسبة للفرد الوسيلة التى من خلالها يوسع آفاق معرفته ويزيد قدرته على انتقاء الوظائف المتعددة • وفى هذا البحث يحاول الكاتب أن يعرف العلاقة بين تطوير التعليم والمتغيرات الثقافية ، ويحلل قصور نظم التعليم فى العالم العربى ويضع بعض المؤشرات للنهوض بمستوى التعليم ونظمه •

ولم تتمكن أية دولة من الدول المتقدمة أن تكون قوة صناعية بدون المرور فى عملية تغيير اجتماعى وثقافى جذرى وبالمثل فان أية دولة متقدمة ثقافية واجتماعية لابد وأن تكون قد دخلت فى الثورة الصناعية •

(*) الأستاذ بجامعة جورج تاون الولايات المتحدة

فالتنمية تعنى القدرة على استخدام الموارد المتاحة لتحسين نوعية الحياة وبالنسبة للدولة فانها تعنى القدرة على تحديد مشاكلها ومواردها وقدرتها على تعبئة هذه الموارد المتاحة لتحقيق ثلاثة أهداف :

١ ــ تحسين مستوى المعيشة لكل الناس •

٢ ــ زيادة مخزون المعرفة التى فى حوذتها •

٣ ــ القدرة على تغيير المؤسسات والمواقف بما يواكب متغيرات التنمية • هذا يعنى أن التنمية سواء كانت اقتصادية أو ، سياسية أو علمية أو تكنولوجية يجب أن تسير جنبا الى جنب مع المتغيرات الاجتماعية أو الثقافيــة •

وفى هذا العصر وبسبب انتشار وسائل الاتصال الحديثة فان دول العالم الفقيرة أدركت مدى الانجازات التى حققتها الدول الغنية • وهذا الادراك جعلهم يعرفون أهداف تنميتهم • ففى محاولاتهم للحاق بدول الغرب المتقدمة فانهم يحاولون تقليد أنماط حيا هذه الدول وتقليد بعض وسـائلهم المتطورة •

وبما أن تقليد المعرفة أرخص وأسهل من الدخول فى عملية خـلق نظام جديد فان النظم التعليمية فى محاولاتها اللحاق بتلك التى تطبـق فى الدول المتقدمة تمر فى الغالب بالمراحل التالية :

١ — Common-Sense Wisdom

وهى مبنية على تجارب الشعب الماضية ، وتعاليم الدين والمأثورات التى تكون القدر الأكبر من هيكل المعرفة المتاحة للمجتمع والتى يمكن اســتغلالها •

٣ ــ التقليد والحفظ :

لأن النظم التعليمية تتجه عادة الى تقليد تلك الموجودة فى الدول المتقدمة وتحاول محاكاة الوسائل والبرامج التعليمية المستخدمة فيها • فالطلبة يعطون آلاف الحقائق التى يحفظونها عن ظهر قلب دون أن يعطوا وسائل البحث التى تمكنهم من البحث عن الحقائق التى يحتاجونها • وكذا المدرسون والأساتذة فانهم يتمسكون بأنظمة معينة دون تطبيق أسس ومبادىء هذه الأنظمة ، مما يجعل النظام جامدا ومحافظا •

٣ ــ التحليــل النقــدى :

فى هذه المرحلة نجد النظم التعليمية تكف عن تقليد تلك المطبقــة فى الدول المتقدمة وتبدأ فى عملية الاختيار والانتقاء • فالمعرفة والتجربة والمستوردة تقوم بالنسبة لأهداف واحتياجات التنميــة فى المجتمع • فالطالب يطلب منه لا أن يحفظ عن ظهر قلب ولكن أن يفهم ويعى مايتلعمه • فالتعليم لهم يصبح وسيلة للنهوض بمستوى الحياة وتفهم لوظائف المجتمع ونظمه •

وعلى هذه الوثيرة فان الجامعات التى كانت فى المرحلة السابقة تميل الى التقليد أصبحت فى هذه المرحلة تحاول تطبيق أفضل القيــم الثقافية والوسائل العلمية فى النظام •

٤ ــ الابــداع والخلــق :

ان قدرة النظام على الانتقاء سيمكنها من خلق متغيرات جديدة طبقا للحاجة اليها فأهداف ومناهج النظام ستغير لتصبح أكثــر استجابة للواقع • وهنا نجد أن مؤسسات البحث المعنية بمشاكل معينة ستظهر الى الوجود وتشجع • فقدرة النظام على مواجهة المشاكل المختلفة فى الأوقات المختلفة ستمكنها من الاسهام الفعال فى حل مشــاكل التنميــة •

عيوب التعليم فى الدول العربية :

التعليم فى الدول العربية لايزال فى المرحلة الثانية أى مرحلة التقليد والحفظ عن ظهر قلب • وأهم مميزات التعليم فى الدول العربية فى هذه المرحلة يمكن تلخيصها فى الاتى :

١ ــ التركيز على التراث العربى والقيم التقليدية والعرب عموما سجناء لماضيهم ، ونجد المؤرخين العرب الذين حاولوا تسجيل هذا الماضى وتوثيقه كانوا فى الواقع يسجلون ويكتبون خيالا fictin وليس تاريخا • وعن طريق كتاباتهم فان التراث العربى صور على أنه شىء فوق العادى وبعيد عن الامكانيات البشرية الحالية • وعلى ذلك فان الطلاب العرب يظنون أن تجربة العرب الماضية شىء يجب أن يحافظ عليه ويكبر ويقلد •

٢ ــ التركيز على الاسلام كدين :

الأديان على عكس الثقافات لا تخضع للتغيرات • الاسلام هو علاقات الانسان بالكون وبالمعجزات وبالناس عن طريق تحديد كل هذه العلاقات ، فلم يترك الاسلام الكثير للبحث ولكن ترك الكثير للامل والانتظار •

٣ ــ السير فى اتجاه تفكير نظام الحكم :

فالعلاقة المتبادلة بين أنظمة النظام السياسى والتعليمى تطبق المفاهيم والأفكار القديمة وان الحفاظ على النظم والمفاهيم القديمة التى ثبت أنها غير صالحة تحرم المجتمعات العربية من الفرصة الكبيرة لتكييف مؤسساتها الى متطلبات التنمية •

٤ ــ تدريس الطلبة على أن يكون لهم طموحات كبيرة :

ان المدارس والجامعات لا تعلم أبناءها ليكونوا جزءا من مجتمعاتهم ولكن على أنهم شىء خاص متميز وهذا الاتجاه يعزز أيضا فى البيت من

خلال التركيز على أهمية التعليم ومن خلال تصرفات المدرسين والأساتذة فان الطلبة يشعرون أنهم يربون كشيء مختلف ويعلمون بحيث تكون لهم آمال زائدة يخص وظائفهم المستقبلية فى حين يفشل النظام فى اعطائهم التدريب والمعرفة التى تؤهلهم للوظائف التى يرجونها •

٥ ــ التفرقة ضد الفقراء والنســاء :

فى الوقت الذى تكافح فيه النساء فى الدول العربية للحصول على حقوقهن ، فان النظم التعليمية لاتزال تناقش وتجادل فى هذه الحقوق ومن جهة أخرى فان الفقراء يحرمون ليس فقط من حقوقهم الاقتصادية والسياسية بل وأيضا يجبرون على تدعيم الأغنياء• فالطبقة العربية الموسرةفىالدول العربية الغنيةتحصلعلىأفضل التعليمالمتاح وتحصل هذه الدول على أحسن المتعلمين للعمل لديها وهذا يؤده الى حرمان الطبقات الفقيرة ، والدول الفقيرة من الموارد البشرية التى هم فى أشد الحاجة اليها ، ويجعلهم هذا خاضعين لاستغلال الأغنياء وهذا يؤدى الى الكبت والكبت الى المعاداة وبالتالى الى الهجرة وأحيانا الى التمرد والثورة •

مستقبل التعليم فى الدول العربية :

وعلى ذلك اذا افترضنا استمرار الظروف السياسية والقتصــادية على ما هى عليه فى الوطن العربى ، فان مستقبل التعليم فيها لا يبدو مشرقا وأحسن مايمكن أن نرجوه فى الوقت الحالى هو جعل النظــام لا يقلد ويصــبح أكثر واقعية واستجابة لاحتياجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية •

فالتغيرات فى العشر الى الخمس عشرة سنة القادمة فى أغــلب الأحوال ستكون كمية وليست نوعية •

١ ــ من المنتظر أن تنخفض نسبة الأمية تدريجيا ولكن اعداد الأميين قد تزد •

(أ) أن الدول العربية المصدرة للبترول بمواردها المالية الضخمة وعدد سكانها الصغير نسبيا ، ستتمكن من تخفيض نسبة الأمية سريعا ونوعا ما •

(ب) ان الدول العربية الفقيرة ذات الموارد المالية المحدودة ، وعدد سكان كبير ، ستجد صعوبة كبيرة فى التوسع فى التعليم بنسبة تجعلها تسير جنبا الى جنب مع الزيادة المطردة فى السكان •

٢ ــ أن الدول العربية وخاصة الغنية منها ، ستكتسب تجارب مفيدة فى مجال تعليم الكبار عندما يتوسعون فى برامجهم فى هذا المجال •

٣ ــ استجابة للمتغيرات والاحتياجات الملحة فى الاقتصاديات العربية ، فان المدارس الفنية ومراكز التدريب على جميع مستوياتها سوف تنشأ • ولكن الافتقار الى اليد العاملة فى هذه الميادين من غير المنتظر أن تزول قبل نهاية هذا القرن •

٤ ــ من المنتظر أن يتجه التعليم الجامعى الوجهة التجارية :

(أ) الحاجة الى مدرسى المدارس سيشجع الطلبة على التعليم بالمراسلة للحصول على شهادات وبالتالى ينخفض مستوى التعليم الجامعى •

(ب) خريجو الجامعات الذين يعدون أنفسهم للعمل فى حقل التدريس سوف ينظرون الى التعليم كوسيلة لكسب العيش أو الحصول على عمل يعطى عائدا ماليا أكبر ليس الا •

٥ ــ التفرقة ضد غير مواطنى بعض الدول العربية المصدرة للنفط من المتوقع أن يزيد ويستمر اضمحلال مستوى التعليم فى هذه الدول

فالمدرسين غير مواطنى هذه الدول عندما يشعرون بالتفرقة ضدهم من جانب الناس الذين يحاولون أن يعلموا أبناءهم لن يكـونوا مستعدين نفسيا لبذل الجهد اللازم لتحسين أدائهم •

الخلاصـــة والتوصـيات :

نظم التعليم العربية ليستحرة لاحداث تغير ولا هى مجهزة لابداع متغيرات أو التكيف مع النظم الحديثة وعلى ذلك فان أى تغيير يوصى به يجب ألا يتحدى القوى الكبرى التى تحدد مستقبل المجتمع العربى ويجب أن تدرك حدود المؤسسات التعليمية القائمة • ولكى تكون الأهداف واقعية وموضوعية يجب أن تكون :

أ ــ مرحلية •　　جـ ــ موافق عليها من السلطة السياسـية

ب ــ فى الامكان •　　د ــ غير متناقضة

هـ ــ متماشية مع الأهداف الكلية للتنمية •

والتوصيات التالية هى بعض المبادىء الأساسية والأهداف التـى يجب أن تطبقها النظم التعليمية العربية :

١ ــ تغيير الرؤية العامة تجاه الامكانات البشرية : فالانسان فى الوطن العربى ينظر اليه على أنه مديون وليس دائنا وهذه الرؤية بالاضافة الى نقص فرص العمل أدت الى هجرة أكثر من ٢ مليون عربى فى سن العمالة للهجرة خارج الوطن العربى • فالارتفاع بنظرة المجتمع يمكن أن تغير هـذا الاتجـاه •

٢ ــ محو الأمية : فنسبة الأمية المرتفعة (حوالى ٧٥٪) فى الوطن العربى تحول وتعوق كل عمليات التغيـير الثقافى والتمية الاجتماعيـة والاقتصادية • وبما أن الدول العربية الغنية هى أكثر اسـتفادة من الامكانات العربية المؤهلة وأكثرها معاناة من نقص العمالة فان من واجبها أن تتحمل العبء الأعظم من تكاليف محو الأمية فى الوطن العربى ككل •

٣ ــ القضاء على التفرقة ضد الفقراء وضد النساء فان التفرقة ضد النساء تخفض امكانات العمالة العربية الى النصف ، كما أن وضع النساء ، ونسبة الأمية المرتفعة ، بالاضافة الى تخلف التكنولوجيا تخفض انتاجية العامل العربى الى أقل من ٣٠٪ من قدراته وهذا يعنى :

(أ) من ١٥٠ مليون عربى فان المشتركين فى القوة العاملة أقل من ٣٠ مليـــون عربى •

(ب) انتاجية كل العمالة العربية (حوالى ٧٠ مليون) تساوى أو تقل عن انتاجية ١٠ مليون من العمالة فى أية دولة صاعية فى العالم •

(ج) الانتاجية الفعلية للشعب العربى (١٥٠ مليون) تساوى أو تقل عن تلك الموجودة فى أية دولة متقدمة بها حوالى ٢٠ مليون نسمة •

٤ ــ تغيير النظرة العربية للعمل فالعرب عموما لا يفخرون بعملهم ويعدونه وسيلة لكسب العيش ليس الا • وهؤلاء المقربين الى النظـــام القبلى يحتقرون أى نوع من العمل الجسمانى أو الذهنى •

٥ ــ تنمية مايسمى بروح « العمل الجماعى » Team Work لأن المجتمعات العربية تفتقر الى روح العمل الجماعى على جميع المستويات وعلى العرب أن ينجحوا فى بناء مؤسسات بحث جادة قادرة على معالجة أية مجموعة من المشاكل الاجتماعية ، والســـياسية والاقتصـــادية والتكنولوجية •

٦ ــ خلق احساس علم بانفجار السكان فنسبة زيادة السكان فى العالم العربى من أعلى النسب فى العالم كله ونقص الأيدى العاملة فى بعض أجزاء الوطن العربى يجب ألا يؤخذ ذريعة لتشجيع زيادة معدلات النمو الطبيعى من أبنائها • فنسبة الأمية العالية ووضـــع التكنولوجيا البدائى المتدنى ، ومكانة المرأة فى المجتمع العربى وأسباب أخرى متعلقة بالتخلف الثقافى ساهمت فى انخفاض الانتاجية الفعلية

للعمالة العربية الى أقل من ١٥٪ من امكانياتها • ان نقص العمالة فى العالم العربى احدى سمات التخلف وليست عاملا رئيسيا يساهم فيها •

٧ — نشر مبادىء التخطيط ووسائله على جميع المستويات :

فعدم قدرة العرب على الاقدام والاستعداد للمستقبل خفض استعدادهم تجاه المشاكل والمواضع الرئيسية الى مجرد رد فعل بسيط للمتغيرات والتحديات •

٨ — التركيز على الدين الاسلامى يجب أن يضاف اليه التركيز على الثقافة الاسلامية(*) • فالثقافات بكونها كائنات حية ، يجب عليها أن تتغير وتتطور لتحافظ على قيمها الأساسية ولتساهم بفعالية ايجابية فى تنمية مجتمعاتها فى حين أن الجمود فى العقائد المنفصلة عن الشريعة والمعاملات يؤدى الى عرقلة مثل هذا التقدم •

٩ — الوفاء بمتطلبات المجتمعات العربية : ففى الوقت الذى نجد فيه أن نسبة البطالة فى بعض أجزاء العالم العربى مرتفعة جدا ، فان آلاف الوظائف فى انتظار أصحابها فى أجزاء أخرى لأنها لا تجد الأشخاص ذوى التعليم والتدريب والخبرة المناسبة • لذلك يجب مراعاة تخطيط العمالة والاهتمام المكثف بالتدريب الفنى والمهنى •

١٠ — ديموقراطية التعليم : يجب احترام والحفاظ على حرية الفرد والحرية الأكاديمية ، فالطلاب يجب أن يربو بحيث يؤمنون بالديموقراطية ويمارسونها داخل وخارج فصولهم • ومن خلال هذه الممارسة سوف يكتسب الطلاب ثقة فى أنفسهم ويتعلمون كيف يستخدمون عقولهم ويحترمون آراء الاخرين •

ان احساس الشعب بالحاجة الى التغيير يعد نقطة البداية لتنمية جو يؤدى الى الاصلاح وان اهتمام الشعب ومشاركته فى اعداد المواطنين

لحياة مجدية ووظائف منتجة محدودة للغاية ويكاد ينعدم الأمان فى العمل، والترقى فى الوظيفة ، وتخطيط العمالة وباستثناء جزء بسيط من العمالة العربية ، فان حياة العامل العربى غير منتجة وغير آمنة مع آمال ضئيلة جدا للرقى والتحسن •

ان العزيمة السياسية والمناخ الاجتماعى المناسب ضرورى لوضع وتنفيذ الاصـــلاحات التعليمية وأن نجاح هذه الاصلاحات المرجـــوة والمطلوبة يتوقف على موقف الحكومة تجاه الموارد البشرية وقابليتها فى أن تجعلها أكثر صحة ، وأمنا وابداعا • ان ضيق الافق السياسى والروحى فى الوطن العربى يحدان من فرص التغيير المجدى ويخفضان من القدرة على تطوير نظام تعليمى خلاق قادر على مواجهة متطلبات وآمال الشعب العـــربى •

CONTENTS

TITLE	Page
1. Population and Settlement Geography of Wadi Fatima (Saudi Arabia)	
Dr. Ahmed A. Ismail	3
2. Comment developper l'emploi dans une économie à excédent de main-d'oeuvre à l'aide de l'investissemnt public	
Dr. Mona El-Tahawy	27
3. Human Resources Government Education Expentitude and	
3. Human Resources Government Education Expentitude and the Military Burden in the developed Countries : with Special References to Arab Countries	
Dr. Mohamed Ra'if Mus'ad	35
4. The Future of Education in the Arab World	
Dr. Mohamed Rabie	57
Summaries of the Arabic Articles	
1. The Arab Influences in East Africa	
Dr. Sayed H. Haris	79
2. Les Relations des Etats Unis avec les Pays de l'Afrique du Nord aux 18eme et 19eme Siècles.	
Dr. Abdel Kader Zabadiyya	83
3. Population of Sumalia	
Dr. M. Al-Mu'Tasim Mustafa Ahmed	89
4. The Philosophy of Al-'Aqqad's Life	
Dr. Shawqy Riyad Ahmed.	91